

# البيواتيقا مقارنة علمانية



محمد جديدي  
باحث جزائري

مؤمنين بلا حدود  
Mominoun Without Borders  
مؤسسة دراسات وأبحاث [www.mominoun.com](http://www.mominoun.com)

## الملخص:

تدفعنا المقاربة العلمانية في البيواتيقا إلى التساؤل: هل تعتبر حلا أم مشكلة ضمن الفضاء البيواتيقي؟ وكيف السبيل إلى فهم تبرير هذه المقاربة الداعية إلى وضع حدود وسياسات للدين واستبعاده من مجال الفضاء العمومي. فهل يكفي تاريخ البشرية (وخاصة منه الغربي الوسيط والحديث) المشحون بالصراعات الدينية كحجة لإسقاط صوت اللاهوت من النقاشات البيواتيقية؟ كيف سينظر أصحاب الموقف العلماني إلى الإسهامات اللاهوتية التي شكلت واحدة من الإرهاصات في قيام البيواتيقا؟ كيف نتأولها أم سنقفز عليها مع أنها واقع مائل أمامنا وحدث تاريخي نقرؤه في تاريخية البيواتيقا؟ وهل كل ما علماني معادي وخصم للدين؟ ألا يجب التمييز بين الديني والروحي للخروج من مأزق احتكار الدين للروحانيات. ذلك أن ليس كل ديني روحي بالضرورة من حيث أن الروحاني هو نوع من البحث عن معنى للحياة ينسجم مع مطلب عميق في بنية الإنسان.

المقاربة العلمانية في البيواتيقا - في نظري - هي حلقة في سلسلة طويلة من تاريخ الغرب وهي نتيجة منطقية لاستكمال إجراءات فصل الديني عن الدنيوي بعد حسم معركة السياسي واللاهوتي. كان لابد من عدم ترك الأخلاق ملاذا أو منفذا للدين وتوجب تغيير مرجعية المصدر الديني للأخلاق بمرجعية أخرى، تتلازم مع ديمقراطية الحياة المعاصرة فلا ديمقراطية من دون علمنة.

إن أنصار المقاربة العلمانية يكتفون قوانين البيواتيقا - في كل مرة - متحدين الأحكام حتى تستجيب لتلك المتطلبات المتزايدة من الحريات والتي تركزت في أجيال من حقوق الإنسان (خاصة الجيل الثالث) والتي زحفت في موجات متتالية ليس من السهل التنازل عليها. فاللاهوتيون اليوم يقفون متفرجين على رقعة الانتصارات وهي في تنامي للمطالبين بتقنين الموت الرحيم والاستنساخ والزواج المثلي وتغيير الجنس والإجهاض وغير ذلك من القضايا التي يعدها رجال الدين محظورة وممنوعة.

تريد المقاربة العلمانية الإبقاء على الفضاء العمومي محايدا لأنه فضاء للحوار والنقاش حول قضايا لا بد من طرحها حتى ينتظم العيش معا.

"من اللازم على الوعي الديني أن ينجح في صيرورة اندماجية في المجتمع الحديث. ويعتبر كل دين في الأصل "تصوراً عن العالم" أو "فهماً عقائدياً" يُطالب بحقه في السلطة لكي يبني شكلاً من أشكال الحياة في كليته. لكن على الدين أن يستغني عن هذا الحق، والحق في احتكار التأويل وتنظيم الحياة الشامل نظراً لشروط علمانية العلم ومحايدة سلطة الدولة والحرية الدينية الشاملة. وقد انشطرت حياة الجماعة الدينية عن محيطها الاجتماعي مع التقسيم الوظيفي للأقسام الجزئية للمجتمع. ويختلف دور التابع لجماعة دينية ما عن دوره كمواطن ما في المجتمع".

يورغن هابرماس، جوزف راتسنغر، جدل العلمنة: العقل والدين، تعريب وتقديم، حميد لشهب، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2013، ص 60.

## تمهيد:

انطلاقاً من جدّة مصطلحها، تريد البيواتيقا أن تكون علمانية في طرحها، وتحاول تبرير مقاربتها العلمانية بشيء من التوجّه التعددي غير المقصي حتى بالنسبة إلى الدين. لذا فهي تريد أن تكون محادثة متعددة ومتنوعة الأصوات، بحثاً "عن لغة مشتركة، وبمحاولة العثور على إجابات تليق بالجميع من دون تمييز إيديولوجي أو ديني، فقد تبنى المتدخلون تلقائياً مقاربة علمانية للمسألة"<sup>1</sup>. فما هي حقيقة المقاربة العلمانية للإتيقا؟ وماذا عن الإسهام اللاهوتي في قيام البيواتيقا؟ وهل من الصحيح أن الديمقراطية والعلمنة خطوتان متلازمتان؟ وإذن كيف تتعامل العلمانية مع مسألة القيم والحريّات؟ هذه التساؤلات هي محور انشغالنا ومتابعتنا في هذه الورقة.

<sup>1</sup> - Guy Durand, la bioéthique: nature, principes, enjeux, éditions du Cerf, Paris et éditions Fides, Montréal, coll. «Bref» n° 14, 1989, p. 23.

## تعميم العلمانية:

برزت المقاربة العلمانية في البيواتيقا من بين مقاربات أخرى كانت متزامنة وشائعة في ستينيات القرن الماضي في ظلّ ظروف وأسباب متباينة، وسعت لتبدو المقاربة الوحيدة الممكنة والمهيمنة، حيث تأسست البيواتيقا بوصفها مقارنة علمانية متعددة الفروع، محتملة، شاملة ونسقية<sup>2</sup>.

المقاربة العلمانية في البيواتيقا في نظرنا هي حلقة في سلسلة طويلة من تاريخ الغرب الحديث، وهي نتيجة منطقية لاستكمال إجراءات فصل الديني عن الدنيوي بعد حسم معركة السياسي واللاهوتي. كان لا بدّ من عدم ترك الأخلاق مرتعاً أو منفذاً للدين، وتوجّب تغيير مرجعية المصدر الديني للأخلاق بمرجعية عقلانية، نهض بها ورّتب عناصرها عصر النقد والأنوار. الآن وقد صار العقل سيّداً ومرجعاً للإتيقا الحديثة يمكن اعتماده خلفياً للإجماع البشري ولو نسبياً، ويمكن تنميط السلوك وفقاً له، ويمكن كذلك تخطيط سياسات الصحة والمدينة والبيئة وفقاً له.

المقاربة العلمانية في البيواتيقا هي أيضاً إحدى استتباعات تحييد الفضاء العمومي أخلاقياً، بعد أن تمّ تحييده سياسياً واجتماعياً، تلك هي المحاولة التي كشفت عن نفسها مع ظهور البيواتيقا منذ أقلّ من نصف قرن؛ أي في بداية سبعينات القرن الماضي، وفي خضمّ أوضاع معقدة اجتماعياً وسياسياً ومتطورة علمياً وتقنياً، تكونت البيواتيقا باعتبارها مقارنة علمانية متشابكة الفروع والتخصصات، يقول أحد الكتاب الكنديين المهتمين بالبحث في البيواتيقا. كيف يا ترى برز الوجه العلماني للبيواتيقا؟

تشير المقاربة العلمانية في البيواتيقا إلى "بيواتيقا العالم الأكاديمي والاستشفائي المعاصر والإدارة العمومية"<sup>3</sup>. وهي وإن كانت متزامنة مع أنماط أخرى من البيواتيقا إلا أنّها تسعى في "توضيح وحلّ المشكلات والنزاعات الأخلاقية الحاصلة في الحضارة المعاصرة التقنوعلمية والمتعددة ثقافياً، المتميزة بتراجع الأخلاق الأساسية، الميتافيزيقية والدينية والتقليدية وتراخيها"<sup>4</sup>.

<sup>2</sup> - Guy Durand, la bioéthique: nature, principes, enjeux, p.22.

<sup>3</sup> - H. Tristram Engelhart, Jr. Et Ana Smith Iltis, Bioéthique et Laïcité, in, Gilbert Hottois et Jean- Noël Missa, Nouvelle encyclopédie de bioéthique: Médecine Environnement Biotechnologie, DeBoeck Université, Bruxelles, P.567

<sup>4</sup> - Ibidem.

لا ترمي المقاربة العلمانية إلى التخلي عن الأخلاق ذات الأصول الدينية فحسب، بل عرضها تجاوز الأصول الأخلاقية ذات التوجهات الميتافيزيقية والتقليدية المحافظة عموماً والتي وصفها جيلبر هوتوا Gilbert Hottois\* بما بعد حداثة postmoderne، وقد مثل الفيلسوف الأمريكي تريسترام إنغلهارت\*\* Tristram Engelhart هذه المقاربة العلمانية أحسن تمثيل في كتابه أسس البيواتيقا. ففي تقدير إنغلهارت ومن هم على أطروحته نفسها "لا تعني المقاربة العلمانية أنّ المعتقدين أو المؤمنين ليس لهم حق إبداء آرائهم وألا يكون لهم صوت، ولا أن يضعوا إيمانهم على الرف - وبالكيفية نفسها لا يطلب من المواطنين الآخرين أن يضعوا مسلماتهم الإيديولوجية بين أقواس - إنّما تقتضي ألا يضعوا معتقداتهم في الواجهة، وألا ينطلقوا في تبريراتهم من إيمانهم. فالحوار يقع على المستوى العقلاني والإنساني"<sup>5</sup>.

واكبت نشأة البيواتيقا إشكالات وجيهة فرضت عليها إيجاد إجابات لها - كما فرضت عليها تقديم تصورات وحلول لحالات إنسانية معقدة، وإن كانت فردية واستثنائية- من ذلك ما علاقتها بالدين عموماً؟ وما دور الدين وإسهامه في بروز البيواتيقا؟ وهل المقاربة العلمانية حلٌّ أم مشكلة ضمن الفضاء البيواتيقي؟ وما طبيعة دمقرطة التفكير البيواتيقي؟ وهل في ذلك تعارض مع المعتقد الديني؟ ألم تأت البيواتيقا متحررة بترتيباتها لمبادئ الأخلاق بناءً على الضرورة والحرية واحترام القيم الإنسانية، ومنها الحقّ في الحياة؟

في بادئ الأمر، ينبغي الإقرار بأن بروز البيواتيقا كان بمثابة نتيجة لتقدم علمي وتقني حصل في مجال علوم الأحياء والطب. إذن، بروزها لم يكن استباقاً ولا نبوءة، إنّما فرض نفسه باعتباره تفكيراً من زاوية أكسيولوجية إزاء مستجدات علمية حملت معها تساؤلات عدة لا تتعلق بالتقنيات والطرائق الجديدة ولا بنتائج العلوم البيولوجية والطبية، بقدر ما تتعلق بتعامل هذه التقنيات والعلوم مع الكائن الحي بصورة عامة، والإنساني منه بصورة خاصة.

هكذا إذن طرحت المسألة بداية، في ظل انتعاش البحث الأخلاقي في القرن العشرين وفي خضم احتلال المسائل الأكسيولوجية لمركز الصدارة، ضمن مباحث الفلسفة العامة (الأنطولوجية والإبستمولوجية خاصة). فباتت قضايا القيمة من أهم القضايا التي انشغل بها فلاسفة القرن العشرين رافضين لدى بعضهم القيم القديمة،

\* جيلبر هوتوا (من مواليد 1946) بروكسيل، فيلسوف بلجيكي، مهتم بقضايا إتيقا التقنوعلم والبيواتيقا، كما اشتغل بفلسفة اللغة وإشكاليات الفلسفة المعاصرة. صاحب العديد من المؤلفات منها: من أجل إتيقا لعالم تقني (1984)، البراديعم البيواتيقي (إتيقا للتقنوعلم 1990)، من النهضة إلى ما بعد الحداثة: تاريخ الفلسفة الحديثة والمعاصرة (1997)، كرامة البشر وتنوعهم (2009).

\*\* فيلسوف أمريكي (1941-...) مختص في فلسفة الطب، ومن بين الأوائل الذين اشتغلوا بالبيواتيقا، وهو مدير تحرير مجلة الطب والفلسفة. من أهم مؤلفاته: أسس البيواتيقا (1986) The foundations of Bioethics

<sup>5</sup>- Guy Durand, la bioéthique: nature, principes, enjeux, p.23.

وداعين إلى مسابرة الحداثة ومنجزاتها والقيم التي حملتها؛ في الوقت الذي كان بعضهم الآخر يشدد على التمسك بقيمة الإنسان، جوهرًا للقيم وعدم المجازفة بإنسانيته وإفساد طبيعته بنتائج غير أكيدة.

في ظل هذا التجاذب الفكري القيمي كان لا بدّ من الرجوع إلى أصل المشكلة، أقصد إلى الجانب اللغوي لعله يسعفنا في تحديد نسبة العلماني والديني في البيواتيقا، وخاصة أنّها تطرح في عصر اصطلاح عليه بالعصر الأكسيولوجي *l'âge axiologique* عادت فيه القيم ولاسيما الأخلاقية والدينية بقوة في القرن العشرين، ويتحدث بعض المنظرين والمفكرين عن رجوع أكثر للهويّات والقيم الدينية في القرن الحالي، إذ يكفي أن نشاهد ما يجري اليوم في العالم من صراعات دموية، إن لم يكن مصدرها الدين فقد غُلفت به. ذلك على سبيل المثال ما يتحدث عنه سليمان بشير ديان Souleyman Bachir Diagne معلقاً على موقف هنتغتون S. Huntington بخصوص صدام الحضارات وصلته بالعامل الديني، أنّ عملية التحديث الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ذاتها التي اجتاحت العالم في النصف الثاني من القرن العشرين هي التي أدت، وبما يشبه الصدمة الارتدادية، إلى وقوع العالم تحت تأثير سحر اتخذ شكل العودة إلى الدين، ويعني ذلك بالتالي عودة الدين<sup>6</sup>.

ليس بخافٍ إذن ما للدين من أهمية قصوى في حياة الفرد والجماعة، وما تحليل ظاهرة الدين تاريخياً ومن جوانب مسّت الاقتصاد والاجتماع والسياسة والحضارة إلا دليل على متابعة الظاهرة لمعرفة ميكانيزمات تأثيرها وكيفية توجيهها لحياة الأفراد والمجتمعات، وهي اليوم تزداد تغلغلاً في الحياة المعاصرة، على الرغم من طابعها التكنولوجي المهيمن. فهل حقاً أنّ محاولات العلمنة أخفقت في كبح الدين واستبعاده من أفق الحياة العامّة، أم أنّها ما تزال في بداية وضع استراتيجيات وإجراءات تحييد الدين تدريجياً مستقبلاً؟

## البيواتيقا بين الإتيقا والأخلاق:

البيواتيقا، والتي غالباً ما تتداولها مراجعنا العربية على قلنتها وعلى ندرتها، لا تعير هذه القضية كبير اهتمام، علماً أنّها بداية المشكلة. فكتبنا العربية قليلاً ما تميّز بين الأخلاق والإتيقا، وإن فعلت فغالباً ما يكون ذلك باقتضاب وبسرعة، لا نتبين معها حقيقة الخلاف على المستوى اللغوي والاشتقائي أولاً، وعلى المستوى الاصطلاحي والتراثي ثانياً، وعلى المستوى السوسيو- ثقافي والسياسي ثالثاً، وهو في اعتقادنا مصدر الإشكال، ذلك أنّ ما تشير إليه بعض الاستعمالات العربية لمصطلحات، كالأخلاق الحيوية أو أخلاق الحياة أو أخلاق

<sup>6</sup> - سليمان بشير ديان، قرن ديني، ولكن هل يكون روحانياً؟ ضمن، القيم إلى أين؟ مؤلف جماعي بإدارة، جيروم بيندي، ترجمة، زهيدة درويش جبور وجان جبور، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، منشورات اليونسكو، الطبعة الأولى، 2005، ص 150

البيئة أو أخلاق الكائنات الحية، ليست دائمة دقيقة وصحيحة، في مقابل لفظة البيواتيقا، حتى وإن وجدنا داخل منظومة الفكر الغربي - وهي حاضنة البيواتيقا نشأة وتفكيراً وممارسةً - من يسوّي بين المصطلحين، ولا يرى من فارق بين الأخلاق morale وبين الإتيقا\* éthique، وهنا بيت القصيد، لأنّ الذين ينادون بعلمنة البيواتيقا يرجعون إلى إحداث تمييز أولي أو بدءاً من هذه النقطة اللغوية الاشتقاقية، حتى وإن كان هذا البعد اللغوي الاشتقاقي لا يسعنا كثيراً في توضيح ما بين الإتيقا والأخلاق من تمييز أكيد، كما يرى بول ريكور\*\* Paul Ricoeur. لكننا نرى أنّه مهم في طرح الإشكال وفهم خباياه على المستوى الفكري أولاً، وعلى المستويات الاجتماعية والسياسية ثانياً، وفي ظلّ أطر اجتماعية طبعها الأنوار والحداثة وما بعد الحداثة في مراحل متفاوتة (ليست الإتيقا مفصولة عنها)، وهم حينما يصرون على فارق موجود بين الاثنين؛ فذلك ليؤكدوا علمانية الإتيقا ولادينيته في مقابل لفظة الأخلاق المحمّلة والمفعمة بمعنى ديني، يراد تجنبه والتخلّي عنه لدى هذا الفريق. "ومثلما أنّ الأخلاق المهيمنة في الغرب قدّمت في الغالب باعتبارها نظاماً من المبادئ الثابتة والمحددة من الخارج، فقد أخذ اللفظ عادة معنى محافظاً ومغلقاً. إذن فقد استعار عدد كبير كلمة إتيقا في إشارة إلى البحث الأخلاقي الجديد والمفتوح والمحتمل. أن نوافق أو لا، فإنّ هذه الدلالات أضحت كثيرة الذبوع وتبقي على غموض ليس من السهل تجاوزه"<sup>7</sup>.

هكذا تمّ تفضيل الإتيقا على الأخلاق لأكثر من سبب، لأنّه يتناسب مع توجه الفرع الجديد - البيواتيقا الذي أريد له أن يكون متساوياً ومنسجماً مع تعميم مظاهر العقلنة والديمقراطية والعلمنة التي يجب الاجتهاد في البحث عنها ونشرها في مظاهر الحياة عامة، ومنه فالإتيقا مناسبة جداً لهذا السياق، لأنّها أقلّ ارتباطاً بالنظرة الدينية، كما هو الحال مع لفظة الأخلاق التي صارت لصيقة بالدين منذ حقبة بعيدة. ذلك أنّ ديانات التوحيد خاصّة "قدّمت من جهتها الجانب الأخلاقي من الدين تقدماً قوياً، وقد دعيت عن جدارة بالديانات الأخلاقية، وذلك بسبب الحضور القويّ للألوهية في نظمها الأخلاقية"<sup>8</sup>.

\* كُتبنا ونصوصنا العربية في الغالب الأعم تجمع اللفظتين باللغة الأجنبية morale و éthique تحت اللفظ نفسه، الذي هو الأخلاق، ولا تفرق بينهما كما هو الحال في الثقافة الغربية عامة، حتى وإن كان هناك من لا يقرّ بما بينهما من فروق داخل الثقافة الغربية نفسها، غير أنّ الجذور اللغوية للفظتين تحتّم علينا الوقوف عندهما، وذلك ما سنفعله لاحقاً، كما نجد من اجتهاد في الفصل بينهما بتخصيص الأخلاق لـ éthique وتفرّيع الوجوبية لـ morale. ذلك هو مثلاً ما قام به الدكتور جورج زيناتاي عندما ترجم كتاب بول ريكور ذات عينها كآخر.

\*\* يرجى العودة حول هذه النقطة إلى كتاب بول ريكور، العادل، الجزء الثاني، تعريب عبد العزيز العبادي ومنير الكشو، تنسيق، فتحي التريكي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ((بيت الحكمة))، تونس، قرطاج، 2003، وخاصة الجزء الأول من دراسات والذي يبدأ من الأخلاق إلى الإتيقا وإلى الإتيقات، من الصفحة 343 إلى 360.

<sup>7</sup> - Guy Durand, La bioéthique: nature, principes, enjeux, p. p. 17-18.

<sup>8</sup> - بيير سيزاري بوري وسافيريو مارشينيولي، أخلاق كونية لثقافات متعددة، ترجمة د. أحمد عدوس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2007، ص 14

لذا فأطروحتهم تتجه نحو الإتيقا والابتعاد عن أخلاق الحياة، تقادياً للمعضلات التي تجابههم وتكون المعتقدات الدينية سبباً فيها، كما يكون ذلك في حالات بعينها، مثل: هل يقبل رجل مسلم وهو بحاجة ماسة إلى الدم أن يُضخّ بدم شخص يهودي مثلاً؟\* أو هل يسمح مسيحي بأن تُزرع له كلية لإنسان آخر من غير ديانتها، مسلم مثلاً؟ وهل سيرضى مريض يهودي بأن يجري له طبيب مسلم عملية جراحية؟ وكيف ستتعامل مختلف الأديان مع مسائل الإنجاب الاصطناعي والموت الرحيم والاستنساخ والتعديل الجيني وتعقيم المعاقين والتجريب على الكائن الحي وعقوبة الإعدام والاحتباس الحراري والأمراض الناجمة عن التغيرات المناخية؟ هل ستأخذ مصلحة الإنسان وحرية وحقوقه ومطالبه المتزايدة واحتجاجاته اللامحدودة بعين الاعتبار، أم أنّها ستنتقل من نصوصها المقدّسة ومن تعاليمها القديمة لتواجه بها أوضاعاً إنسانية جديدة؟ أم أنّها ستسعى إلى تأويل مقدّساتها وفق ما يتماشى مع متطلبات العصر وإرضاء لمعتقداتها ومخافة إضاعتهم إلى الأبد؟

أكثر من هذا، فإنّ الحياة العادية تعطي لهذه الكلمات قصّة محدّدة، تضيف إلى كلّ واحدة دلالات خاصة. مثلما يكون ذلك في استنباط الأخلاق درساً كاملاً في كلّ قصة أو رواية، وما زاد في شيوع استعمال لفظ الأخلاق أنّ انتشار اللغة اللاتينية في الغرب حتى بداية عصر النهضة قد أغنى لفظة الأخلاق morale. ومع أولوية المسيحية في الثقافة فقد أخذ لفظ الأخلاق بسهولة دلالة دينية. خصوصاً وأنّ اكتشاف فلاسفة يونانيين في العصر الوسيط عمل على تجليل (تشریف) لفظة إتيقا éthique، مع إعطاء الأخلاق دلالة لا دينية بمعنى أخلاق طبيعية أو علمانية (دنيوية)<sup>9</sup>. فتجديد الثقة في الارتباط بالثقافة اليونانية قبل اختلاطها بالديانة واكتشاف آدابها وفلسفاتها وفنونها الوثنية عزّز من موقف الطرح العلماني الذي كان يناضل على جبهة سياسية واجتماعية من أجل إقرار فصل واضح بين السلطتين الزمنية والروحية.

في عرف الداعين إلى التمسك بالإتيقا والتخلي عن لفظ الأخلاق ما يجعلنا في منأى عن صدامات إضافية، وفي البيواتيقا يتمّ تحييد الدين لأجل تضييق هوة التضارب في الأحكام والآراء والقيم التي قد يكون منشؤها الطبقة أو العرف أو التربية أو الدين أو الثقافة أو العرق، وبالتالي تقليص الفروقات ما أمكن للحصول على إجماع يفى بغاية الفرد من الحرية وبحاجة الجماعة من الحماية.

\* في هذا الصدد تداولت بعض الصحف خبر انتقاد طبيب نمساوي من منظمة "الصليب الأحمر" الدولية لحملة تبرع بالدم قامت بها جمعية خيرية إسلامية، وزعم هذا الطبيب أنّ دماء المسلمين فاسدة، وحاول أن يعطي لزعمة حجة طبية مفادها أنّ غالبية المسلمين يعانون من الالتهاب الكبدي الوبائي، حتى وإن كان هذا الموقف شخصياً وشاذاً، وقد لاقى رداً من زملائه في المنظمة نفسها الذين أكدوا ألا علاقة بين الأمراض والخلفيات الدينية والعرقية للأفراد، وأنّه صادر عن رأي متعصب وبعيد عن الموضوعية والعلمية، إلا أنّه يتكرر من قبل منطرفين على قلتهم، بحيث ينطلقون في أحكامهم من معتقداتهم الدينية والعرقية والثقافية.

- يومية جريدة الخبر الجزائرية، السبت 15 فيفري 2014

<sup>9</sup> - Guy Durand, La bioéthique: nature, principes, enjeux, p. 17

اللّفظتان أخلاق وإتيقا لهما جذران لغويان مختلفان، فبينما ينحدر لفظ الأخلاق morale من اللغة اللاتينية mosmores، فإنّ لفظ إتيقا éthique متأت من اللغة الإغريقية (إيتوس éthos) الذي يفيد العادات mœurs، التصرف في الحياة، قواعد السلوك. من الناحية الاشتقاقية إذن يعني الحقيقة نفسها التي للكلمة أخلاق، كما تشير إلى ذلك مختلف القواميس<sup>10</sup>. وإذا كان استعمال لفظ أخلاق وإتيقا يترادف لدى كثير من المفكرين والكتّاب\* ومن دون تمييز يذكر بينهما إلا فيما ندر، فعلى الرغم من ذلك سنجد أنّ مبحث الإتيقا يشير إلى ثلاثة معانٍ أو يغطي ثلاثة مجالات، هي<sup>11</sup>:

- بحث عن معايير للسلوك أو قواعد، أي بحث وتفكير وتحليل لأسس القيمة.

- بحث يتسم بنسقية التفكير وعمقه، وهو كما يتبدى لدى بعض الفلاسفة مثل أرسطوطاليس، إيمانويل كانط، سبينوزا، وغيرهم.

- ممارسة واقعية لتحقيق القيم، وليس مجرد بحث نظري في القيمة، بل نشاط تتجسّد من ورائه.

فقد يحصل تمييز بين الأخلاق والإتيقا لدى بعض الفلاسفة، فيميلون إلى حصر دلالة الإتيقا على المعنيين الأول والثاني، وعليه فالأخلاق تعني "علم الخير والشر"، أو علم الأخلاق، أو تتحدد كذلك بدراسة أسس الأخلاق<sup>12</sup>، أي البحث في مصادر القيمة والسلوك ومرجعياتهما. وربما هذا ما لخصه الفيلسوف الفرنسي بول ريكور في قوله مبرزاً الفرق بين الأخلاق والإتيقا، بحيث يضيف على التمييز بينهما بُعداً فلسفياً يتصل بالاختيار في الحياة تشير إليه الإتيقا، أي بين ما هو حسن وجيد واختياري، أي optatif، بينما يتعلق الأمر في الأخلاق بما هو واجب والزامي، أي impératif<sup>13</sup>. هكذا فإنّ ما يميز الأخلاق هو الأوامر القاضية بـ: افعل كذا، فم بكذا، ساعد والديك، احترم جيرانك، أو الأوامر بالانتهاء عن ذلك: لا تقتل، لا تكذب، لا تسرق، بينما الإتيقا تتسم بخيارات سلوكية في الحياة، يكون الإنسان حرّاً في إتيانها أو تركها، ففي حالات اللجوء - بناءً على رأي الطبيب - إلى إجراء عملية جراحية أو الإخصاب الاصطناعي أو الإجهاض ما يوحي بالفعل الحر وحرية

<sup>10</sup>- Guy Durand, La bioéthique: nature, principes, enjeux, p.16

\* ذلك على سبيل المثال ما ذكر به الفيلسوف ومؤرخ العلوم الفرنسي ميشال سيرر Michel Serres صاحب المؤلفات العديدة المتصلة بعناصر العلوم وأزمنتها وأزماتها. وقد أورد هذا التمييز بين مصطلحي الأخلاق والإتيقا في ملتقى الوراثيات، الإنجاب والحق Génétique, procréation et droit المنعقد بباريس Paris سنة 1985م.

<sup>11</sup>- Ibid, p. p. 16. 17.

<sup>12</sup>- Ibid. p.17.

<sup>13</sup>- بول ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة وتعليق وتقديم، د. جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2005، ص 343

الإرادة الناجمة عن اختيار حر وموافقة مستنيرة، وبهذا فالإتيقا تحوز السبق على الأخلاق، لأنها تقوم على الاختيار الذي يتناسب مع الحياة الجيدة والحسنة، وليس في حياة المنع والانتهاك كما تدعو إلى ذلك واجبات الأخلاق.

## جدل الإسهام اللاهوتي

كيف السبيل إلى تبرير المقاربة العلمانية الداعية إلى وضع حدود وسياجات للدين واستبعاده من مجال الفضاء العمومي. فهل يكفي تاريخ البشرية (وخاصة منه الغربي الوسيط والحديث) المشحون بالصراعات الدينية حجةً لإسقاط صوت اللاهوت من النقاشات البيواتيقية؟ كيف سينظر أصحاب الموقف العلماني إلى الإسهامات اللاهوتية التي شكلت واحدة من الإرهاصات في قيام البيواتيقا؟ كيف نتأولها، أم سنقفز عليها مع أنها واقع مائل أمامنا وحدث تاريخي نقرؤه في تاريخية البيواتيقا؟

فقبل أن تبرز البيواتيقا إلى الوجود مصطلحاً وفرعاً متخصصاً سنة 1971 مع طبيب الأمراض السرطانية الأمريكي فان رانسيلار بوتتر\* Van Ranselaar Potter، بدت النقاشات حول مسألة القيم والأخلاق في بحوث علمي البيولوجيا والطب مشتتة وبحاجة إلى تنسيق، وهو ما أفضى في نهاية المطاف إلى تأسيس هذا الفرع الجديد. لكن حتى ذلك الوقت وقبله، وعندما كانت إفرازات التقنيات والاكتشافات العلمية الجديدة في الميادين الطبية والبيولوجية تطفو على السطح وتثير التساؤلات الحاسمة، "كان رجال الدين هم في صدارة من دقوا ناقوس الخطر<sup>14</sup>، وشرعوا في مناقشة الرهانات الجديدة والتحديات الفعلية القائمة، ذلك مثلاً ما أورده م. سيغلر\*\* M. Siegler".

في تلك الأثناء، وبالتحديد في ستينات القرن الماضي، ساهم اللاهوتيون في طرح (وإغناء) جملة من المسائل ذات الصلة القوية بنتائج التقانات والأبحاث الجارية في العلوم عامة وعلمي الحياة والطب خاصة.

\* عالم أمريكي (1911-2001) متخصص في الكيمياء الحيوية وطبيب مختص في الأمراض يعزى إليه أول استعمال لمصطلح البيواتيقا التي أراد من ورائها فلسفة جديدة تجمع العلوم المتقدمة البيولوجيا، الإيكولوجيا والطب بالقيم الإنسانية وذلك ما طرحه في كتابه الأساسي: البيواتيقا: جسر نحو المستقبل (1971).

<sup>14</sup> - Guy Durand, La bioéthique: nature, principes, enjeux, p.22.

\*\* مارك سيغلر M. Siegler (1941-...) طبيب أمريكي مارس ودرس الطب الباطني بجامعة شيكاغو طيلة 45 سنة. أحد رواد الإتيقا الطبية في أمريكا وهو المدير المؤسس لمركز ماك لين Mac Lean لإتيقا الطب الإكلينيكي. حصل على عدة جوائز وتمييزات. من مقالاته: بحث عن اليقين الأخلاقي في الطب: اقتراح لنموذج جديد للقاء الطبيب - المريض (1981) - تدرج الطب: من الأبوية الطبية واستقلالية المريض إلى التقدير البيروقراطي (1985) - إتيقا زرع الكبد من المتبرعين الأحياء (1989) - الأخلاق الطبية الإكلينيكية: العشرية الأولى (1990) - الأوتانازيا: نقد (1990) - الاحتراف الطبي وعلاقة الطبيب - المريض: رؤى البيولوجيا والطب (2008).

وكان من بين هؤلاء الفيلسوف واللاهوتي الكاثوليكي دانيال كالاها <sup>\*\*\*</sup> Daniel Callahan الذي أسس بمعونة الطبيب النفساني ويلارد غايلين <sup>\*\*\*\*</sup> Willard Gaylin معهد المجتمع، الأخلاق وعلوم الحياة Institute of Society, Ethics and the Life Sciences، وقد صار يُسمّى فيما بعد بمركز هاستينغس Hastings Center، وهو مركز مستقل يتلقى دعماً من مؤسسات خاصة، وله مجلة ينشر فيها تقارير عمّا يهتم به من مواضيع بيواتيقية، ومنها نهاية الحياة التي نال عليها جوائز وتحفيزات عدة.

فضلاً عن هذا فالتراث اليهودي - المسيحي ماثل ومبثوث ضمن الأخلاق الطبيّة، فمن يتصفّح دعاء موسى بن ميمون فسوف يجد التعاليم الدينية كامنّة في نص الممارسة الطبيّة، بل إنّ كثيراً من الطوائف المسيحية سخّرت جهدها وعملها الطبي بدافع المبدأ الديني المسيحي وضرورة محبة القريب وإعانتته. فضلاً عن أنّ العامل الديني بارز لدى المشتغلين بالطب من المسلمين، فالرازي صاحب كتاب أخلاق الطبيب يُعدّد خمس خصال للطبيب يفضل بها على غيره من البشر، ومنها أنّ الاسم [اسم الطبيب] مشتق من أسماء الله تعالى <sup>15</sup>.

ولعلنا نجد في قسم أبقراط ما يوحي بهذا الربط بين الديني والطبي، إذ يبدأ القسم بذكر اسم الآلهة، وخاصة التي لها ارتباط وعلاقة بالصحة والشفاء والنظافة، مثل أبولو Apollon، وأسكيليبوس Esculape، وهيغيا Hygie، وبانكيا\* Panacée.

لئن كانت هذه الصلات هي ما يقرب أكثر الجانب الديني من أخلاقيات المهنة الطبية أو دينطولوجيا الطب (إتيقا الطب éthique médicale إلا أنّها تبرز بوضوح مدى مساهمة اللاهوت المتنوع في مشاريعه ومصادره الدينية في التأسيس للبيواتيقا المعاصرة، والتي تكون في النهاية قد قطفت ثمرة جهود رجال الدين والفلاسفة والأخلاقيين والفاعلين الاجتماعيين والناشطين سياسياً وإيديولوجياً، هذا إن لم نقل إنّها استولت عليها وألبستها ثوباً علمانياً.

<sup>\*\*\*</sup> فيلسوف أمريكي (1930-...) مهتم بمجال الإتيقا البيو- طبية. ألف عدة كتب تخص الحياة والطب عموماً: الإجهاض: القانون، الاختيار والأخلاق (1970)، الإتيقا في الأزمنة الصعبة (1982)، الطب والسوق (2006).

<sup>\*\*\*\*</sup> طبيب إكلينيكي أمريكي في الأمراض العقلية بجامعة كولومبيا. ترأس مركز هاستينغس من 1969 إلى غاية 1993. صاحب مؤلفات ومقالات عديدة منشورة في مجلات متخصصة ومترجمة إلى لغات مختلفة، وهو عضو بعدد جمعيات الصحة العقلية.

<sup>15</sup> - الرازي، أخلاق الطبيب، تقديم وتحقيق د. محمد عبد اللطيف العبد، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1977، ص ص 87-88. يذكر الرازي أنّ للأطباء فضلاً على غيرهم من الناس بخصال لم تجتمع إلا فيهم، وهي خمس: الأولى اتفاق أهل الملل والأديان على تفضيل صناعتهم، والثانية اعتراف الملوك والسوقة بشدة الحاجة إليهم، إذ هم المفزع والغيث حين لا ينفع عدة ولا عشير، والثالثة مجاهدة [ما غاب عن] أبصارهم، والرابعة اهتمامهم الدائم بإدخال السرور والراحة على غيرهم، والخامسة الاسم مشتق من أسماء الله تعالى [وحتى في قسم أبقراط تكون اليمين بالآلهة التي تعزى لها خاصية الشفاء والطهارة والصحة والنظافة]. المرجع نفسه، ص ص 87-88

\* يبدأ قسم أبقراط عند أداء اليمين بالآلهة التي تعزى لها خاصية الشفاء والطهارة والصحة والنظافة، قبل ذكر الآلهة بصورة عامة، فيقول الطبيب المتخرج حديثاً: أقسم بالطبيب أبولو وأسكيليبوس وهيغيا وبانكيا وجميع الأرباب والرباب وأشهدهم، بأنّي سوف أنفذ قدر قدرتي واجتهادي هذا القسم وهذا العهد.

فكيف يتجاوز العلمانيون ورطة الإسهام اللاهوتي البارز في تمهيد الطريق أمام البيواتيقا، وليس عند تلك اللحظة الأولى في نشأتها، بل ما تزال جهود اللاهوت والدين قائمة وحاضرة في النقاشات الأخلاقية وفي قوانين البيواتيقا؟ بيد أن منطق الحضور قد يوحي بالتصادم والتنافر وتهميش الحريات.

## العلمانية والحريات

ينبغي الاعتراف أولاً أن العلمانية جاءت في شكل مشروع منظم للحريات وبخطاب شامل لجموع المواطنين بعيداً عن انتماءاتهم الدينية والعرقية والثقافية، بل إن خصوصية الأفراد تذوب أمام موضوعية الفضاء العمومي وحياديته، وعليه فقد طوّرت العلمانية من بين عناصر خطابها روحانية خاصة موجودة في باطن كلّ إنساني، ليست بالضرورة دينية، بل نعثر عليها لدى غير المتدينين (الملحدين)، ففي صميم الإلحاد توجد نزعة روحية *spiritualité* هي من صميم إنسانية الإنسان.

لذا وجب التمييز بين الديني والروحي، ليس كلّ ديني روحياً بالضرورة، من حيث أن الروحاني هو نوع من البحث عن معنى للحياة ينسجم مع مطلب عميق في بنية الإنسان.

في هذا المسعى العلماني نلمس تجريد الدين من الطابع الروحاني الذي يحتكره، إلى درجة أن هناك من يقيم "تعارضاً بين الديني والروحي ينبنى أساساً على التمحور [التمركز] الذي يميز الدين، وعلى رفضه، وهو سمة الروحي، هذا الأخير يكون هدفه السعي إلى حوار شامل يجمع كلّ البشرية"<sup>16</sup>.

قد يفضي هذا الحوار إلى تكريس روحانية احتكرها الدين وهي عميقة في بنية الإنسان بغض النظر عن معتقده، بل بغض النظر عن إيمانه أو كفره، فهي روحانية الإنسانية جميعها بحاجة إليها، وهي عزاء الإنسانية في كلّ مأسيتها وتطلعاتها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن اللاهوتيين أنفسهم هم من غيروا لغتهم الدينية لتتماشى مع تطلعات الفرد والمواطن الجديد، فقد خاطبوا الناس بمفردات العصر الذي تعدّت فيه التقنيات الجديدة في الطب والبيولوجيا مجرد الصيانة والتطبيب إلى التجديد بناءً على الرغبة والخلق وفق الطلب، وذلك حرصاً منهم على التكيف مع المستجدات الراهنة وعلى إبقاء جزء من نفوذهم الاجتماعي والنفسي لدى الساكنة.

وما الحوار الشامل المشار إليه أنفاً إلا نتيجة لوعي مزدوج برز إلى الوجود بشكل سريع من ناحية اللاهوتيين بوعيهم أنهم يعيشون وسط عالم متعدد، وأنهم يناقشون مسائل تهّم جميع المواطنين، شعروا بالحاجة

<sup>16</sup> - سليمان بشير ديان، قرن ديني، ولكن هل يكون روحانياً؟ ضمن، القيم إلى أين؟ مؤلف جماعي بإدارة جيروم بيندي، ترجمة، زهيدة درويش جيور وجان جيور، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، منشورات اليونسكو، الطبعة الأولى، 2005، ص 150

إلى عدم انغلاقهم ضمن منظور ديني ضيق (بدرجة أقلّ مذهبية دينية)، بل وحتى علمنة لغتهم وحجاجهم. كما أدرك متدخلون آخرون التزامهم بالقضايا المناقشة: الأطباء بطبيعة الحال؛ ثم الفلاسفة والحقوقيون، وفيما بعد علماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد، وأخيراً المشرّعون، بل حتى مجموع المواطنين.<sup>17</sup>

إنّ أنصار المقاربة العلمانية يكتفون قوانين البيواتيقا - في كلّ مرّة - متحدّين الأحكام حتى تستجيب لتلك المتطلبات المتزايدة من الحريات، التي تركزت في أجيال من حقوق الإنسان (خاصة الجيل الثالث)، والتي زحفت في موجات متتالية ليس من السهل التنازل عنها. فاللاهوتيون اليوم يقفون متفرّجين على رقعة الانتصارات، وهي في تنامٍ، للمطالبيين بتقنين الموت الرحيم والاستنساخ والزواج المثلي وتغيير الجنس والإجهاض، وغير ذلك من القضايا التي يعدّها رجال الدين محظورة وممنوعة.

ففي بعض الدول مثل بلجيكا لم تعد مسألة الموت الرحيم محل نقاش، بل تمّ الحسم فيها وتقتنت بالنسبة إلى البالغين، وهي اليوم في طريقها لتتوسع إلى فئات عمرية كالمراهقين والأطفال.

في زمن تكتسح فيه المطالبة بالحريات حدوداً غير معروفة، وهي أقرب إلى باب التناقض، لما في المطالبة بها من تطرف عند بعضهم كالحق في الموت\* *le droit à la mort*، فضاءات كانت بالأمس القريب مغلقة على النقاش، صارت مع تحولات القيم وتغيرات الواقع الاجتماعي والسياسي وسرعة التقدم العلمي والتقني محلّ مراجعات عميقة، إلى درجة أنّ السؤال الذي يطرح نفسه حول مصير الإنسان في ظلّ تحرر شبه تام من كلّ قيد ومعيار قيمي، ساهمت فيها العلمنة بقسط وفير. فما طبيعة الإنسان المقبل؟ هل العلمانية قادرة على تلبية كلّ حاجات الإنسان وإشباعاته المادية منها والروحية؟ وهل هي قادرة على صدّ الهجومات العنيفة والرمزية التي لم تكشف عن جميع خباياها بعد نتائج علوم الطب والحياة على الطبيعة البشرية؟

وفي إجابة موجزة عن هذه التساؤلات نورد رأي ديدييه سيكار\* *Didier Sicard* الذي يرى في خاتمة كتابه: *الإتيقا الطبيّة والبيواتيقا*: "أنّ البيواتيقا تتجاوز بكثير الرهانات العلمية. إنّها تحمل نظرة حول الحياة، حول ما يجعلنا بشراً، حول قدرتنا على العيش سوياً، خاصة حول الانتباه إلى الآخر وبالأخص

<sup>17</sup>- Guy Durand, *La bioéthique: nature, principes, enjeux*, p.23.

\* التناقض في مقابل الحق في الحياة والذي هو من الحقوق الأساسية لكل كائن بشري، إذ كيف يعقل أن تتحول المطالبة (وإن لم تكن عامة تشمل كل البشر) بحق مناقض أصلاً لحق تمّ قبل خمسين سنة تثبيته وإقراره في إعلانات كونية لحقوق الإنسان (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بـ هيلسينكي سنة 1948) رحبت بها كل البشرية وجعلتها مصدراً لتشريعاتها حتى الداخلية بل وفرضت عليها مراجعات لدساتيرها حتى تتسجم مع الواقع الجديد لحقوق الإنسان.

\*\* طبيب فرنسي (1938-....) ترأس اللجنة الاستشارية الوطنية للإتيقا من 1999 إلى 2008 أسنّاذ الطب بجامعة باريس ديكرت ورئيس مصلحة الطب الداخلي بمستشفى كوشان بباريس. من مؤلفاته: باسم ماركس وبودا (1981)، أبقراط والسكانير: تفكير حول الطب المعاصر (1999)، العذر الأخلاقي (2006)، الإتيقا الطبيّة والبيواتيقا (2009).

الأضعف. فهي بيواتيقا راسخة في مبادئ عامة، مهما تكن دينية أو عقلانية (...)، إن لم تأخذ بعين الاعتبار احترام إنسانية الآخر فهي باطلة؛ وأخطر من ذلك، تصبح قناعاً يتيح بالضبط التملص من هذه المسؤولية<sup>18</sup>.

إن نجاح البيواتيقا العلمانية مرهون بمدى تقبلنا لنجاح الإتيقا العلمانية، لذا وبالتحديد فإنّ مبدأ المسؤولية، وهو من مبادئ الأخلاقيات الجديدة لدى هانز يونس\* Hans Jonas، يستكمل ضمن البيواتيقا العلمانية، ويستبدل مبدأ الاستقلالية الذاتية بمبدأ السماح أو الإتيقا le principe de permission والذي يصير قاعدة المقاربة العلمانية في البيواتيقا، ويكون مرفوقاً بمبدأ التسامح باعتباره فضيلة أخلاقية، ويؤكد جدارته وقيمه في البناء الاجتماعي والسياسي السلمي الحديث، وهذا ما ترغّب البيواتيقا العلمانية في تعزيزه حسب موقف جيلبير هوتوا Gilbert Hottois لأنّ: "البيواتيقا العلمانية التي تجعل من الممكن التعايش السلمي والتعاون الطوعي للمختلفين أخلاقياً وللجماعات الأخلاقية، هي القاعدة لكلّ بيوسياسة داخل "الديمقراطيات المحدودة"، بمعنى الديمقراطيات التعددية المحترمة والمحافظة عن الأشخاص وعن ممتلكاتهم"<sup>19</sup>.

يقول جان برنار: "وإذا كانت مواقف كلّ من رجال الدين والعلماء ورؤاهم في السابق محصنة بتحصينات الوهم والزعم بامتلاك الحقيقة النهائية وسياجاتهما، فاليوم الكلّ على قناعة بضرورة تلطيف تلك الأحكام والدوغما وتخفيف الادعاءات من احتكار الحقيقة". "فالمستقبل وحده كفيل بتقديم حلول، لا نتوقعها اليوم، لمشكلات تطرح على تخوم الإتيقا واللاهوت"<sup>20</sup>.

إنّ العلمانية بوصفها فضاءً محايداً - أو هكذا تريد أن تكون - يمكن أن تحقق هذه الإمكانية من التعايش السلمي والتحاور الإيجابي عبر البيواتيقا بوصفها قناة وآلية لتجسيد إنسانية جديدة بشرت بها الديمقراطية، وعلى الرغم من نقائصها وفضائحتها وعتراتها إلا أنّها الأقرب من بين أشكال الحكم الأخرى إلى تحقيقها، لكنها لن تتحقق من دون علمنة، فلا ديمقراطية دون علمنة. إذ تظلّ ديمقراطية الحياة عامة وليس السياسة فحسب، والتي تبدو غالباً هي منطلقها الأول، منقوصة ومبتورة إن لم تتبعها علمنة هذه الحياة ذاتها. إذ تسعى عملية الديمقراطية، عبر إجراءات يكون الاقتراع مظهرها البارز، إلى إحداث توافق اجتماعي يتّسم بالتوازن بين فئات المجتمع المتعدد ثقافة وعرقاً ولغة وديانة خصوصاً.

<sup>18</sup> - Didier Sicard, L'éthique médicale et la bioéthique, Que sais-je? n° 2422, PUF, Paris, 2<sup>e</sup> édition, 2011 pp. 122.123.

\* هانز يونس (1903-1993) فيلسوف ألماني معاصر، طور فكرته الأخلاقية حول مبدأ المسؤولية في عصر يتسم بالتقدم العلمي والتكنولوجي ومنها كتابه الرئيسي: مبدأ المسؤولية: من أجل إتيقا للحضارة التكنولوجية le principe responsabilité: pour une éthique de la civilisation technologique (1979) وله كتب أخرى تتصل في معظمها بإتيقا الطبيعة والمستقبل.

<sup>19</sup> - Gilbert Hottois, Qu'est-ce que la bioéthique? Librairie philosophique J. Vrin, Paris, 2004, p.71.

<sup>20</sup> - Jean Bernard, La bioéthique, Flammarion, Paris, 1994, p.97.

ففي ظلّ فسيفساء اجتماعية، تتعدّد فيها الرؤى والأحكام القيمية المبنية في مجملها على تعاليم دينية، لا تقبل المراجعة والنقاش تستهدف الديمقراطية إحداث فضاء للمواطنة عبر علمنة الحياة العمومية، تكون فيها الإتيقا مستندة إلى مرجعية عقلانية أحكامها ليست نهائية؛ إنّما تتّسم بالمرونة والنقاش الباحث عن حصول إجماع تنتظم به الحياة المشتركة، ويكون معه العيش معاً ممكناً.

## خاتمة:

ليس الغرض من وراء جدلية الديمقراطية والعلمنة استبعاد الدين تماماً، وإنّما حصره في الفضاء الخاص (المسألة الشخصية والاهتمام الخاص)، في مقابل فضاء عمومي ينبغي أن يظلّ مشتركاً بين عموم المواطنين على مختلف انتماءاتهم العقديّة وانتسابهم الديني. ذلك أنّه حالما تصبح مرجعية الناس في سلوكهم وخياراتهم الحياتية هي أحكامهم وشرائعهم ذات الصبغة الدوغمائية التي لا تقبل المراجعة والنقاش والتمسك بها فإنّه سيفضي لا محالة إلى تصادم بين الأفراد والجماعات، ومن ثمّ فإنّ أيّ إمكانية لبناء ديمقراطية تتأسس على مواطنة حقيقية ضامنة لأفرادها حرياتهم ومساوية لهم في الواجبات والحقوق سيكون مصيرها الإخفاق، إن لم تعد إلى تحييد الدين من الفضاءات المتقاسمة بين هؤلاء المواطنين، وبكلمة أخرى، يجب أن يظلّ الفضاء العمومي محايداً، لأنّه فضاء للحوار والنقاش حول قضايا لا بدّ من طرحها حتى يستقيم العيش سوياً.

لهذا السبب برزت البيواتيقا في صورتها العلمانية، كما يقول إنغلهارت: "واعدة البشر ببيواتيقا للبشر كما هم. إنّها تعد أيضاً بتأويل وإعطاء معنى للإنجاب، وللولادة، وللحياة، وللصحة والمرض، وللمعاناة والألم بمصطلحات مقبولة كونياً، بمعنى لا تاريخية ولاثقافية ولادينية"<sup>21</sup>.

<sup>21</sup>- H. Tristram Engelhart, Jr. Et Ana Smith Iltis, Bioéthique et Laïcité, in, Gilbert Hottois et Jean- Noël Missa, Nouvelle encyclopédie de bioéthique: Médecine Environnement Biotechnologie, DeBoeck Université, Bruxelles, P.567.

## مراجع المقال:

- 1- يورغن هابرماس، جوزف راتسنغر، **جدل العلمنة: العقل والدين**، تعريب وتقديم، حميد لشهب، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2013
- 2- Guy Durand, **la bioéthique: nature, principes, enjeux**, éditions du Cerf, Paris et éditions Fides, Montréal, coll. «Bref» n° 14, 1989.
- 3- H. Tristram Engelhart, Jr. Et Ana Smith Iltis, **Bioéthique et Laïcité**, in, Gilbert Hottois et Jean- Noël Missa, **Nouvelle encyclopédie de bioéthique: Médecine Environnement Biotechnologie**, DeBoeck Université, Bruxelles.
- 4- سليمان بشير ديان، **قرن ديني. ولكن هل يكون روحانياً؟** ضمن، **القيم إلى أين؟** مؤلف جماعي بإدارة، جيروم بيندي، ترجمة، زهيدة درويش جبور وجان جبور، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، منشورات اليونيسكو، الطبعة الأولى، 2005
- 5- بول ريكور، **العادل**، الجزء الثاني، تعريب عبد العزيز العيادي ومخير الكشوش، تنسيق، فتحي التريكي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ((بيت الحكمة))، تونس، قرطاج، 2003
- 6- بيير سيزاري بوري وسافيريو مارشينيولي، **أخلاق كونية لثقافات متعددة**، ترجمة، د. أحمد عدوس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2007
- 7- بول ريكور، **الذات عينها كآخر**، ترجمة وتعليق وتقديم، د. جورج زينات، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005
- 8- الرازي، **أخلاق الطبيب**، تقديم وتحقيق، د. محمد عبد اللطيف العبد، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1977
- 9- Didier Sicard, **l'éthique médicale et la bioéthique**, Que sais-je? n° 2422, PUF, Paris, 2° édition, 2011.
- 10- Gilbert Hottois, **Qu'est-ce que la bioéthique?** Librairie philosophique J. Vrin, Paris, 2004.
- 11- Jean Bernard, **La bioéthique**, Flammarion, Paris, 1994.
- 12- Gilbert Hottois et Jean- Noël Missa, **Nouvelle encyclopédie de bioéthique: Médecine Environnement Biotechnologie**, DeBoeck Université, Bruxelles.

MominounWithoutBorders



Mominoun



@ Mominoun\_sm



مؤسسة بدون 3 حدود  
Mominoun Without 3 orders  
www.mominoun.com مؤسسة دراسات وأبحاث

الرباط - أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : +212 537 77 99 54

الفاكس : +212 537 77 88 27

info@mominoun.com

www.mominoun.com